جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

اللغة العربية/ دكتوراه لغة

المادة :مناهج لغوية حديثة

عنزان المحاضرة :نظرية الخطاب وآلياته عند سيبويه

التدريسي: الأستاذ الدكتور قاسم خليل إبراهيم الاوسي

٢٠٢٥-٢٠٢٦

مفهوم الخطاب

الخطاب حدث لغوي يرسله متكلم أو مرسل نحو مخاطب أو مرسل إليه قصد إفادته بمعلومات أو أخبار جديدة في مقام محدد وباستعمال وسيلة تبليغية محددة، والانطلاق من ظروف أو أحوال وأوضاع مشتركة بين المتخاطبين لا يعرفها غيرهما.وهذا يعني أن الخطاب نشاط تواصلي يتأسس على اللغة المنطوقة أولا، ويرتبط بالتعبير عن كل نظم الإفادة في الممارسة الاجتماعية، فلكل معرفة خطابها المعبر عنها الشارح الواصف لمحتوياتها المحدد لأهدافها، فهو لسان حالها في منظومات المعارف التي تفتضيها مجالات الحياة وسياقاتها الاجتماعية المختلفة.

هو الكلام بالمفهوم السوسيري, أي الأداء اللساني المتحقق في خصوصية تأليف الجملة، كما يتداخل عند بعضهم بمفهوم النص، سواء على اعتبار أن النص ليس إلا كلاما مكتوبا ، أو على اعتبار كلمة نص رديفا للخطاب في بعض اللغات التي لا تملك مقابلا لهذه اللغة.

والخطاب هو الملفوظ في مقامات تواصلية معينة، وبهذا يتحول تحليل الخطاب إلى امتداد لنحو ما بعد الجملة, أي البحث في قواعد وضوابط بناء المتتاليات من الجمل كما هو الحال عند هاريس، أو البحث في علاقاتها المنطقية الدلالية كما هو الحال عند المناطقة. وبما أن الملفوظ غايته التخاطب من خلال اللغة، فهو مقام ومعلم في المسار التوليدي للغة، يتطلب بحثا نظريا متعدد الاتجاهات لتحديد الكفاءات البانية له والمحددة لمساراته.والخطاب كذلك هو المحتوى، وذلك على اعتبار الوحدات المتمفصلة في الموضوع هي وحدات يتم تحديدها من خلال محتوياتها أو الدلالات المصاحبة لها والتي تكون مرتبطة بأشكال معرفية وثقافية وحضارية ضمنية وصريحة . فالخطاب اخيرا نسق فعل سيميائي يبنى على ثنائية اللسان والكلام عند دي سوسير، والكفاءة والانجاز عند تشومسكي، والنظم والنظام عند هيلمسيلف .

تحليل الخطاب

إن تحليل الخطاب تخصص ثري خصب اكتسب جدارته المعرفية وسيادته العلمية لأنه يوفر للباحث مداخل قصد مختلفة لتحليل النصوص والخطابات المختلفة، بالنظر للمدارس اللسانية والنقدية المختلفة وخلفياتها النظرية ومرجعياتها الفكرية والمعرفية التي تؤطرها وتكيف خطابها. كما يعد تحليل الخطاب المولد شرعيًا للسانيات التطبيقية، فهو ميدان لاستثمار المعطيات المنهجية المختلفة التي وفرتها اللغة في دراسة النصوص والخطابات وتحليلها على المستوى البنيوي والسيميائي والتداولي.... وقد أصبح علمًا قائمًا بذاته له خلفياته النظرية وأسسه المعرفية وموضوعه ومناهجه وفرضه التطبيقية، وتحليله ونتائجه.

مصطلح الخطاب

مصطلح الخطاب عند العرب أي في التراث اللساني العربي مصطلحا اساسياً اصيلاً يرتبط بظواهر المشافهة ويعبر عنها إلا أن المعرفة اللسانية الغربية الحديثة لم تعرف الخطاب وتحليل الخطاب إلا في العصور الحديثة مع العالم اللساني الامريكي زليغ هارس ١٩٥٢. وإذا كان وجود الخطاب مصطلحاً صريحاً في التراث فإن تحليل الخطاب موجود باعتباره ممارسة منذ عهد الخليل(ت١٧٥هـ) وسيبويه(ت١٨٠هـ) ووصولاً إلى ابن خلدون(ت٨٠٨هـ).

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لا لكي تطرح بديلاً؛ وإنما لكي تمارس قراءة وتنه على جهود مضنية بذلها العلماء القدامى في مجال المعارف اللسانية بخاصة. ونحن نتناول آليات تحليل الخطاب عند سيبويه وتعامله مع النصوص المختلفة التي يوردها ويحللها وبذلك نستطيع أن نسجل بعض الملاحظات منها

١-يظهر النظر الايستيمولوجي أن الأساس المعرفي التي قامت عليه المنظومة النحوية العربية هو اساس عقدي , فكل ناظر نحوي يكون أما صاحب نحلة ومذهب أو لا يكون. وقد رأى جورج مونان بأن قضايا اللغة قد كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي. ونرى أنبناء النظر النحوي عند سيبويه لا يخرج عن الأساس العقدي فاللغة عنده ومنه النحو يستند إلى أصل العقيدة ونظرا للعلاقة الوثقى بينهما كما قال ابن جني(ت٣٩٢هـ): "فأما تجوزهم الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً, وإذا كانت سبباً له وكان القول دليلً عليها" إن المسألة يتجاذبها اعتباران هما لساني صرف والآخر مذهبي عقائدي, فالمذهبي اتسم بالتقديرات النسبية ويمثل المنحى الذاتي في تحليل الظاهرة اللغوية لاقترانه بالبعد الديني فأنه تنزل حضاريا في منزلة البناء العلوي المسيطر على عامة التفكير اللغوي حتى يكاد انفراده بحق الاحتكام وأمر التقييم.

٢-يلاحظ القارئ استعمال سيبويه عدد معتبر من المصطلحات منها الباب, المثال, مجاري الكلام, المبني, المبني عليه, الاستقامة, الحسن, القبيح, الكلام, المستحسن, الاستحسان, الأصل, الفرع, الابتداء, الإحالة, الكذب, الكلام المستغنى الذي يحسن السكوت عليه وغيرها... وتستند هذه المصطلحات اللغوية إلى مرجعيات فكرية ميزت خطاب سيبويه لذلك فإنها تحتاج إلى نوع من القراءة تخرجها من مستوى الموجود بالقوة إلى الفعل, وتسبر أغوار هذه المصطلحات في سياقاتها النصية, وتنفذ إلى اسسها المعرفية الداخلية التي تؤطرها وتحدد مفاهيمها العلمية فهذه المصطلحات وغيرها في الكتاب نشأت وترعرعت في بيئة معرفية محددة لها خصوصياتها الروحية واللغوية وهذا ما مكن الباحث فهمها وإدراكها لأنها تحتاج إلى تمكن لغوي وذهن وقوة خاطر وقدرة على التصور, وقد عقد ابن جني بابا في الخصائص سمّاه(باب فيما يؤمنه علم العربية

من الاعتقادات الدينية)رأى الانتفاع به ليس لغاية ولا له نهاية, وأكثر من ظل من أهل الشريعة عن القصد فيها إنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في العربية.

٣-يلاحظ القارئ لكتاب سيبويه قدرته على الوصف الدقيق للمسائل وعرضها والتمثيل لها بحسب ما تفتضيه اللغة العلمية المتخصصة من دقة وموضوعية فكل دال يعبّر عن مدلوله دون ترادف أو تكرار أو مجاز وقد تجلى ذلك في اكثر من موضع في الكتاب وابرز دليل على ذلك حديثه صارم الدقة عن مخارج الحروف وصفاتها في باب الادغام.

٤-تصوره لظواهر التخاطب مما نعده في صلب تحليل الخطاب ولسانيات النص, فمن خلال تصور "سيبويه" للجملة على الرغم من أن هذه التسمية لم ترد في الكتاب، وكذلك عبارة "جملة مفيدة" لا أثر لها في الكتاب وبعد "سيبويه" لم يستعمل عبارة جملة مفيدة" فإنه قد استعمل مكانها لفظة "كلام" كوحدة إعلامية تبليغية بين متكلم ومخاطب؛ فالكلام المستغنى عنه السكوت هو الذي يستفيد الفائدة وبه يحصل على المعنى. وقد ميز علماء العرب القدامى بين المعنى والفائدة فقالوا : لا بد لكل كلام من معنى يدل عليه ولكنه وإن كان ينبغي أن يفيد في الأصل فقد يكون غير مفيد؛ أي غير حامل لفائدة الخبر يجهله السامع، وذلك مثل: "النار محرقة ..." مثال مشهور في النحو العربي، فإن قيل هذا لمن اختبر خاصية النار المحرقة، فإن هذا الكلام، وإن كان ذا معنى فإنه لا يأتي بشيء جديد بالنسبة للمخاطب. وإذا كان "سيبويه" قد ألح على هذه الوظيفة؛ فقد التبس الأمر على الذين جاؤوا بعده فخلطوا بين الوظيفة الإعلامية والدلالة على المعنى .

٥-الجملة المفيدة – عند سيبويه – تعني الكلام المستغني الذي يحسن السكوت عليه؛ فهو يشكّل وحدة خطابية تؤدي وظيفة التبليغ وبها تتم إفادة المخاطب، فالكلام المستغني أو الجملة المفيدة، هو أقل مثل ما يكون عليه الخطاب، إذ لم يحصل فيه حذف، وهي

نظرة للغة من جانبها الإعلامي الوظيفي، تتمثل في الإخبار والمخاطبة؛ أي التبليغ المتبادل للأغراض بين المتخاطبين. بل أن سيبويه عندما تحدث عن الحذف ربطه بعلم المخاطب. ويوضح سيبويه دوافع الحذف عند الناطقين وهي طلب الخفة على اللسان واتساع الكلام والاختصار رابطا كل ذلك بعلم المخاطب

عناصر الخطاب عند سيبويه

يتأسس الخطاب عند "سيبويه" على عنصرين اثنين متلازمين هما: المسند والمسند إليه "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلّم منه بدا ؛ لأن ذلك لا يحقق الفائدة من الكلام فلا يمكنه الخبر أو الكلام كخطاب هدفه التبليغ، إلا إذا تأسس ذلك على المبتدأ (المسند إليه) ولا تتحقق الفائدة إلا إذا وجد المبني عليه ، والمقصود بالمبني عليه هنا هو الخبر، و"سيبويه" لا يسميه كذلك دائما، بل هو عنده المبني على المبتدأ"، أما كلمة الخبر"، فقد يطلقها على هذا ، وعلى الحال أيضا، بل على كل ما هو مفيد فيه علم المخاطب. وهكذا فإن الخبر ينقسم إلى:

خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه على مستوى البنية.

وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه يزيد في خبر سابق له على مستوى الخطاب.

فالأول خبر لمبتدأ مثل زيدٌ منطلق. وفعل لفاعل مثل خرج زيدٌ. أي جزء من الجملة. والثاني هو الحال مثل جاءني زيد باكيا. وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة. فالخبر عند سيبويه يعني الاعلام الذي يحصله المخاطب من العلاقات الاسنادية وترتبط بالإفادة.

وتميز سيبويه أيضا بأنه بنى تفسيره لكثير من الظواهر الخاصة بالتخاطب على المعرفة بقوانين خاصة بالخطاب استقاها من استقرائه الدائم واهتمامه المستمر بكلام العرب. ولقد نظر سيبويه للغة عميقاً شاملاً في بعدها المعياري والاستعمالي. ففي قوله: أتاني

الرجل, يريد واحداً لا أثنين, وما أتاك رجل, أي أتاك أكثر. فمعاني هذه الأمثلة لا تتضح إلا من خلال السياقات اللغوية التي توظف فيها والمقامات التخاطبية التي تحيط بها, إذ يعد المقام أو حال الخطاب والسياق اللغوي والمتكلم والمخاطب عناصر اساسية في إحداث الخطابات وتلقيها وإنتاج النصوص. وكذلك تميز خطابه في الكتاب بانطلاقه من الامثلة المختلفة وهذا يظهر معرفته الواسعة بظواهر الاستعمال اللغوي في المجتمع العربي. تبدي القراءة المتأنية للكتاب فيما يتعلق بظواهر التبليغ والمشافهة أرضية خصبة لنظرية قائمة بذاتها في التخاطب عند سيبويه؛ فقد أعطى أهمية لكل العناصر المكونة لدورة التخاطب ومنها: المتكلم والمخاطب وحال الخطاب ومقام التخاطب ومحيطه الاجتماعي وما يقتضيه من استعمالات لغوية تبعا لمقاصد المتكلمين وأغراضهم المختلفة. ولذلك ربط سيبويه بين المقال والمقام أو ما يمكن أن يطلق عليه الآن بعض اللسانيات النصية بالإحالة النصية والإحالة المقامية، وبناء على هذا يمكن الوصول إلى تحديد أنماط خطابية متعددة ثاوية مختفية خلف النداء والاستفهام والتعجب والإغراء والمدح والذم والأمر والنهي والخبر والحال ....